الحركات الشعبوية في اوروبا وتأثيرها السياسي حركة خمس نجوم انموذجاً

الباحث خضير عباس الدهلكي

المقدمة

الشعبوية كظاهرة سياسية واجتماعية كان لها حضوراً في مختلف المراحل التاريخية والتي تجسدت دوما في صورة القائد المُلهم الذي يحرك عواطف ومشاعر الجماهير من عامة الناس في أوقات تمر فيها المجتمعات بظروف صعبة مقدما نفسه في صورة المنقذ والمدافع عن مصالح العامة ومعبرا عن إرادتهم فقد عرفت الحضارة اليونانية القديمة الشعبوية مع صعود الديماغوجيين أمثال "كميون " في أعقاب انتكاس ديمقارطية أثينا واستيلاء جموع الرعاع على السلطة وما أعقب ذالك من فوضى دفعت بأفلاطون ومن بعده تلميذه أرسطو إلى تبني الدعوة لنبذ حكم الرعاع والدعوة إلى إدخال تعديلات على الديمقراطية اليونانية ووقوفهم إلى جانب حكم النخبة وفي الحضارة الرومانية ظهرت الشعبوية مع صعود "يوليوس قيصر عام (44 ق م) إلى السلطة بدعم قوى من عموم الشعب ضد حكم النبلاء , وقد مرت ظاهرة الشعبوية بفترات من الصعود والأنكماش وفقا لضروف المجتمعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي هذا البحث سوف نستعرض مفهوم الشعبوية وتعريفها وخصائصها اضافة الى استعراض بعض نماذج الحركات الشعبوية وتأثيرها في المشهد السياسي في اوربا .

تمثل الحركات الشعبوية واحدة من ابرز التحديات التي تواجه مستقبل الاتحاد الأوروبي في استكمال الاندماج والتكامل، فالأسس التي قام عليها الاتحاد من التكامل والسيادة المشتركة مستهدفة من كثير الأحزاب والحركات اليمينية الشعبوية التي تعارض قيمه ومبادئه وترفض مؤسساته. ويشير بعض الباحثين أن الشعبوية ظاهرة عرضية ، تخضع لنفس القوانين السياسية الأساسية، التي تعيق منافسيها، فبمجرد وصول الشعبويون إلى السلطة عليهم أن يختاروا بين الاستجابة والمسؤولية، بين فعل ما يريده ناخبوهم، وما يفرضه الواقع الاقتصادي، وما تحدده مؤسسات الاتحاد الأوروبي.

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها تصاعد تأثير الحركات الشعبوية في المشهد السياسي والانتخابي في دول اوربا .

إشكالية البحث

وجود خلاف وجدل في تعريف مفهوم الشعبوية والخصائص المتفق عليه للشعبوية وما مدى خطورة اليمين الشعبوي على الديمقراطيات الغربية ؟.

منهج البحث

سيتم استخدام منهج التحليلي الوصفي لوصف الظاهرة الشعبوية وتقديم تعاريف لها وصولا إلى تحديد أهم خصائصها وتقديم دارسة تحليلية لمؤشرات تاثيرها السياسي في المشهد السياسي والانتخابي في اوربا مع دراسة حالة حركة النجوم الخمسة الشعبوية في ايطاليا كدراسة حالة.

المبحث الاول: مفهوم الشعبوية والجذور التاريخية وخصائص الحركات الشعبوية

لكون ظاهرة الشعبوية محط جدل فكري وسياسي نجم عن ذلك تعدد وتنوع التعاريف للشعبوية , وباختصارتعرف الشعبوية بأنها "عقيدة وإستراتيجية سياسية، وأسلوب خادع لتسويق البرامج السياسية وقد جرى استخدام مصطلح الشعبوية أول مرة في سياق الديمقراطيات الحديثة عام 1890، لوصف الطرف الثالث الواسع من الجماهير، غير الممثلة بواسطة الاحزاب الرئيسة وهي تُعبر عن حالة الريبة وعدم الثقة، والعداء المفرط للنخب والتيار السياسي السائد، والمنظومة المؤسسية التي يستند إليها النظام الدميقراطي، بينما تنظر الشعبوية الى نفسها بوصفها ممثلًا لتطلعات بسطاء الناس والمنسيين، وأنها التجسد الاقوى للروح الوطنية الاصيلة [1].

وفي هذا المبحث سوف نستعرض مفهوم الشعبوية والجذور التاريخية لها وخصائصها . يُعد إنهيار الاتحاد السوفيتي والنظم السياسية الشيوعية نهاية الثمانيينات وما أعقب ذلك من بدء عصر العولمة بمثابة تمهيدا لعودة وبروز ظاهرة الشعبوية مجددا للتأثير بالمشهد السياسي الدولى عامة والاوربي على وجه الخصوص , فبدأت الحركات الشعبوية بالتزايد في مختلف دول العالم , وقد انقسم الباحثون والمفكرون المتابعين لهذه الظاهرة الى فريقين الاول يرى فيها ظاهرة سلبية وإنها تشكل خطرا يهدد الاستقرار والسلم المجتمعي وتقوض االديمقراطية , بينما راى القسم الثاني بانها حركات تهدف لتحقيق مطاليب الشعب ولا تهدد الديمقراطية والحياة السياسية.

المطلب الاول: مفهوم الشعبوية والجذور التاريخية

يرى بعض الباحثين أن الشعبوية" تيار سياسي يقوم على "تقديس" الطبقات الشعبية في بلد ما ويتبنى خطابا سياسيا قائما على معاداة مؤسسات نظامه السياسي ونخبه المجتمعية. ومع أن "الشعبوية" ارتبطت أصلا في نشأتها بأوساط التيارات اليسارية فإنها أصبحت أيضا تغزو اليمين واليسار الليبرالي الذي صار يشكل أكبر كتلة سياسية بالغرب، وربما توجد في صفوفهما بصورة تفوق أحيانا وجودها في اليسار خاصة في أوروبا. وغالبا ما يُستخدم مصطلح "الشعبوية" للتنديد بآراء متبني خطابها ومواقفهم وتوجهاتهم السياسية "المقدسة للشعب" والمناهضة للتنظيم السياسي والاجتماعي. في ستينات القرن العشرين قام عالما الاجتماع (إرنست غلينلر وغيثا يونيسكو) على كتابة مقدمة لكتاب مؤثر في عصره (شبح يطارد عالمنا : الشعبوية), يظم هذا الكتاب نتائج مؤتمر نظمته جامعة لندن للاقتصاد وشارك فيه مؤرخون وعاماء اجتماع وسياسة , بغرض

---

[1] **Michael Kazin, "Trump and American Populism: Old Wine, New Bottles," Foreign Affairs (October 2016), p. 1—8, accessed on 7/1/ 2017, at: goo.gl/yRA9L8**

تعريف الشعبوية ولم يكلل مسعاهم بالنجاح لكن الكتاب الذي صدر اوضح أن كلمة " الشعبوية "ومنذ ذلك الوقت تستخدم لظواهر متعددة من الماوية وحتى حقبة مابعد الاستعمار التي حكمتها " القوميات التحديثية " ونزعة فلاحية طواها النسيان اليوم [2].

كتب مدير مجلة "كريتيك" (فيليب روجيه) العام 2012 أن هذه "الكلمة في كل مكان، لكن من دون تعريف لها". ولا يزال من الصعب تحديد هذا المصطلح" لأنه يثير "جدلا" و"يعني ظواهر في غاية الاختلاف". أما أوليفييه ايهل، خبير الأفكار السياسية في معهد العلوم السياسية في غرونوبل، فيعتبر أن صعوبة تحديد معنى الكلمة تكمن في أنها "ليست مفهوما". ويضيف "أنها لا تستخدم للتوضيح بقدر ما تستخدم للتنديد". إنها مصطلح يمكن أن يحل محل مفردات أخرى حسب الحالات مثل "القومية" و"الحمائية"و"كراهية الأجانب" و"الشوفينية" و"تبسيط الأمور". من جهته، يحددها قاموس "بوتي روبير" طبعة العام 2013 بأنها "خطاب سياسي موجه إلى الطبقات الشعبية، قائم على انتقاد النظام ومسؤوليه والنخب"

لكن (أوليفييه ايهل) يصف هذا التعريف بأنه "غامض وغير دقيق" لأن "الطبقات الوسطى، كما رأينا مع حزب الحرية في النمسا (...) معنية بهذه الظاهرة بقدر الطبقات الشعبية". بينما يرى الباحث الأمريكي (مارك فلورباي) من جامعة برينستون، إن الشعبوية هي "البحث من قبل سياسيين يحظون بكاريزما عن دعم شعبي مباشر في خطاب عام يتحدى المؤسسات التقليدية الديمقراطية". ووفقاً لهذا المنطق؛ فالشعبويَّة وصف يطلق على نمط التفكير السياسي الذي يجنح لتقديس الشعب باعتباره يمثل الحقيقة المطلقة؛ وتشتقّ كلمة الشعبويَّة من الشعب، والقدرة على إقناع أوسع قدر ممكن منه؛ ومثل هذا الوصف يعتمد على الديماغوجيا التي تقوم على دغدغة عواطف أكثريَّة الناس والتأثير في مشاعرهم بخطاب موجَّه إليهم مباشرة ويدّعي تمثيلهم والنطق باسمهم. وبشكل عام تميل الشعبويَّة إلى الانعزاليَّة وذلك للحفاظ على تماسكها وأتباعها. الشعبويَّة

وصف يطلق على نمط التفكير السياسي الذي يجنح لتقديس الشعب باعتباره يمثل الحقيقة المطلقة[3].

الشعبوية (populism) يشير أحد الاستعمالات إلى الافكار السياسية المؤسسة على قيمة الاتصال المباشر مع (الشعب) ومشاركته السياسية بمافي ذالك اقامة مؤسسات الديمقراطية المباشرة من مثل المبادرة ةلاستفتاء والاقالة . وهكذا يمكن ربطها بأي عقائد سياسية لليسار أو لليمين او بالنزعة القومية او الحركات الدينية او العرقية او اللغوية ... الخ .[4]

وقد عرف (شيلز) الشعبوية بأنها إيديولوجيا الاستيلاء الموجه ضد نظام اجتماعي مفروض من قبل طبقة مضى على وجودها في وضع الهيمنة فترة زمنية طويلة ويفترض أنها تحتكر السلطة والثروة والامتيازت الثقافية وأشار "شيلز "للعلاقة التصارعية بين المجتمع

---

(2) بان فيرنر مولر, مالشعبوية ؟ , ترجمة رشيد أبو طيب, منتدى العلاقات العربية والدولية, الدوحة ,ط1, 2017, ص15-16 .

(3) عبد الحسين شعبان الشعبوية والديمقراطية متاح على الرابط: https://www.mominoun.com/articles/

(4) GEOFFRE ROBERTS &ALISTAIR EDWARDS المعجم الحديث للتحليل السياسي , ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي الدار العربية للموسوعات ,بيروت ط1 ,1999 .ص 346 .

والنخب المهيمنة على السلطة والثروة وحتى الثقافة أي أنه أضاف العامل الثقافي الذي تحاول من خلاله النخب فرض رؤاها وتصوارتها على الشعب وعلى حساب ثقافته الأم وهنا توجد إشارة إلى محاولة النخب فرض ثقافات جديدة على حساب الثقافة المحمية التي تدعي الحركات الشعبوية الدفاع عنها[5] .

بينا عرف(يان فيرنرمولر) الشعبوية بأنها تصور سياسي محدد يرى أن شعبا خالصا ومنسجما يقف دائما ضد نخب غير اخلافية وفاسدة وطفيلية ويرى ان هذه النخب لاتنتمي البتة الى الشعب . ان المساواة بين "الشعب العادي" و الشعب الحقيقي يمكن أن تعبر عن نفسها في أسماء الاحزاب فالحزب الفنلندي (Perussuomalaiset) (والاسم يعني الفنلنديون العاديون) كان يريد أن يترجم إلى اللغات الاخرى ب " فنلنديو القاعدة "او " الفنلنديون الحقيقيون , والان يريد الجزب ان يغير اسمه الى الفنلنديون فقط [6].

أما (جوزيف تاغييف) فقد اشار بأن جوهر مفردة الشعبوية هو الشعب وبالتالي فالنداء الموجه للشعب يعبر عن شكل عادي من الديماغوجية أي مخاطبة الجانب العاطفي والمخيالي للإنسان وليس قدرته الفكرية , واعتبر أن هناك أشكالا من الشعبوية كل شكل يتحدد بإطار وطني زمني[7] تاريخي وقد توجد في البلد الواحد تياارت شعبوية مختمفة ومتصارعة وبهذا التعريف حاول جوزيف تاغييف تحميل الخطاب السياسي الذي يوجهه القائد الشعبوي للشعب بوصفع خطابا عاطفيا حالما غير عقلاني ولا استراتيجي يغيب العقل الذي هو أساس الحكم على صحة الأفكار المعروضة كما يبين أن الشعبوية يمكن أن توجد في كل زمان ومكان .

في حين عرفها (الكسندر دورنا) الشعبوية ظاهة سطحية ومؤقتة تبرز في إطار أزمة عامة ووضع سياسي واجتماعي يصعب احتماله بالنسبة للأكثرية ولا تهدف [8] بالضرورة إلى تغيير النظام بشكل نهائي يعطي هذا التعريف الطابع الظرفي للشعبوية كظاهرة غير متجذرة ولا أفق لها بكونها وليدة أزمة تذهب بذهابها وهذا وان كان يصالح الكثير من التجارب الشعبوية إلا انه توجد حالات استمرت لوقت طويل .

أما (إرنستو لاكلاو) فقد اشار تنطلق الشعبوية اعتبارا من تقديم العناصر الشعبية الديمقارطية كخيار مضاد لايدولوجيا الكتلة المهيمنة واعتبارها ظاهرة يمكن أن تنشأ داخل المنظمات وأنظمة الحكم والطبقات الاجتماعية والتشكيلات المتنوعة والمتنافرة [9]حاول لاكلاو في هذا التعريف إعطاء معنى ايجابي للشعبوية عكس كثير من المفكرين الغربيين فهو يراها نتاج ممارسة ديمقراطية للتخلص من هيمنة النخب وسياستها وهي عودة لجذور الديمقراطية بوصفها حكم الشعب كما يلاحظ من خلال تعريفه جعمه إياها ظاهرة عابرة للقوميات والإيديولوجيات عكس الكثير من المفكرين الغربيين الذين يرون أن مكانها ضمن إيديولوجيا اليسار في دول العالم الثالث التي تغيب فيها الديمقراطية .

---

[5] إيثكييل آدموفسكي, عن معاني الشعبوية واستخدمتها في8/11/ 2016 متاح على الرابط : https://www.aljumhuriya.net

[6] يان فيرنر مولر, مصدر سبق ذكره ص45.

[7] منى خويص , رجال الشرفات دارسة تحليلية لمظاهرة الشعبوية " ,بيروت ,دار الفارابي , ط1 , 2012. ص78.

[8] الكسندر دورنا هل يجب أن نخاف من الشعبوية , تشرين الثاني 2003: متاح على الرابط : https // www.mondiploar.com

[9]إيثكييل آدموفسكي مرجع سابق يبق ذكره .

ويُعرَّف (Weyland)الشعبوية على أنها الاستراتيجية السياسية التي من خلالها يسعى زعيم شخصي أو يمارس سلطة حكومية على أساس الدعم المباشر وغير الوسطي وغير الدستوري من أعداد كبيرة من أتباع معظمهم غير منظمين[10]

وعرفها(زيازك) الشعبوية ظاهرة سلبية وعقيمة فهي ليست حركة سياسية محددة أنها العامل السياسي في اصفا حالاتها أي انكسار المجال الاجتماعي الذي يؤثر في أي محتوى سياسي إن تعريف زيازك جعل من الشعبوية نتاج ظروف اجتماعية سيئة وليست وليدة أفكار ومنظومات سياسية حرة فهي نتاج ظروف اجتماعية ذات طابع قسري وسلبي إلا أن هذا التعريف يهمل احتواء الكثير من الحركات الشعبوية على رؤى فكرية خاصة بها وخير مثال حركات اليمين الشعبوي الصاعدة اليوم في الغرب في ذات جذور يمينية محافظة تتفق في كثير من مبادئها مع أحزاب اليمين المحافظ[11].

وقد عرف المفكر (عبد الإله بلقزيز) الشعبوية نزعة في التفكير السياسي تجنح لتقديس الشعب وإعتباره مستودع الحقيقة المطلقة ومناط الخلاص النهائي من شرور العالم تضع نفسيا في مقابل النخبوية التي تحتقر الشعب والجماهير فالشعبوية إذا ترادف الفوضوية والعفوية التنظيمية [12] . حاول هذا التعريف إيجاد مقارنة بينها وبين النخبوية التي تقيم تحالفات مع أصحاب المصالح ومراكز النفوذ دون الاهتمام بمشاكل عامة الشعب . كما حاول تجنب الحكم على الظاهرة سلبا أو إيجابا في محاولة لتقديم تعريف موضوعي ومن خلال مجموعة التعاريف المقدمة للشعبوية نستخلص الملاحظات التالية:

1- الشعبوية فلسفة سياسية أو أسلوب سياسي وليست إيديولوجيا متكاملة.
2- تعتمد الشعبوية خطابا تحريضيا يوجهه قائد يتمتع بكاريزما لعامة الشعب ضد النخبة المهيمنة مركزا على الجانب العاطفي الوجداني غير العقلاني .
3- تجسد الشعبوية رفض لكل أشكال الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية للنخب على حساب مصالح عامة الشعب وقيمه التاريخية .
4- قد تحمل الشعبوية عناصر إيجابية يتم من خلاليا تجديد الطبقة السياسية والنزول عند الإرادة الشعبية .
5- الشعبوية ظاهرة تظهر أوقات الأزمات العامة ومراحل الاضطراب السياسي والاجتماعي وهي ظاهرة عابرة للقوميات والبلدان والإيديولوجيات .
6- أنها ظاهرة في اغلب تجاربها ذات طابع ظرفي مؤقت ترتبط بالظروف التي جاءت بها وتحمل صورة سلبية .
7- الشعبوية ضد النخبوية والأحزاب التقليدية وتتسم بطابع الفوضوية والعفوية التنظيمية.

---

(10) Varieties of Populism: Literature Review and Research Agenda by Noam Gidron, Department of Government, Harvard University Bart Bonikowski, Department of Sociology, Harvard University. Weatherhead center For International Affairs.p11 publications@wcfia.harvard.edu • http://www.wcfia.harvard.edu

(11) منى خويص , مصدر سبق ذكره ص 48

(12) عبد الإله بلقزيز,"الشعبوية وميتا فيزيقيا الشعب 2009 متاح على الرابط : https:// www.noonpost.org:

من خلال ما تقدم من تعاريف وما تم استخلاصه منها نتوصل إلى التعريف الإجرائي العام للشعبوية وهو الشعبوية أسلوب عمل سياسي يتبنى مبدأ تقديس الشعب ويعتمد خطابا تحريضي عاطفي موجه لعامة الشعب ضد النخب المهيمنة على السلطة وسياساتها المفروضة على المجتمع تظهر أوقات الأزمات العامة ومراحل الاضطراب السياسي وتتسم بالفوضوية والعفوية التنظيمية وغياب الرؤية الإستراتيجية.

اليمين الشعبوي

ظهر مصطلح اليمين الشعبوي في الأوساط الغربية في العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين في إشارة إلى تحول كثير من أحزاب اليمين المتطرف من حركات سياسية عنصرية ونخبوية عنيفة ومتشددة إلى حركات سياسية توجه خطابها إلى المجتمع وتنافس الأحزاب التقليدية على السمطة بخطاب يحمل سمات شعبوية واضحة . ورغم محاولة الكثير من الباحثين والمفكرين الغربيين في بداية هذا التحول نفي صفة الشعبوية على هذه التيارات السياسية لكون الشعبوية عند هؤلاء مكانها في الدول التي تغيب فيها الديمقراطية والعقلانية وكانت إلى وقت قريب توصف بها حركات اليسار ومجتمعات العالم الثالث في إفريقيا واسيا وأمريكا الجنوبية بنظرة دونية لهذه المجتمعات ,خاصة أنها كانت حاضنة لأبرز النماذج الشعبوية كالبيرونية والناصرية البوليفارية إلا انه مع تنامي صعود الحركات اليمينية المتشددة انتخابيا خاصة في فترة 2016-2017 , واعتمادها خطابا سياسيا شعبويا لا يمكن إنكاره حاولت الكثير من المنظومات السياسية التقليدية واعتباره ظاهرة ظرفية عابرة في الغرب وكثير من الباحثين ربطها بالأزمة الاقتصادية عام 2008 , كان الباحث (اوليفيو ايهل) أول من تنبأ بصعود الشعبوية في أوربا في كتاب له عام 2003 بقوله إن هذا الشبح الذي يحوم فوق أوربا بات اليوم قوة سياسية واجتماعية مثبتة تماما حتى [13] ,انه يطرق أبواب السلطة .

اما الباحث الكسندر(دورنا أريان) بين أن الحركات الشعبوية المستجدة على المجتمعات الغربية يعود انبعاثها إلى أزمة تجتاح الديمقراطيات التمثيلية والأزمة الكونية بفعل العولمة الليبرالية [14].

واشار (جوزيف تاغييف) بان هناك أنواعا من الشعبوية تضرب جذورها بعمق في ديمقراطيات أوربا الغربية غير انه أكد بأنها لا تعمل بالطريقة نفسه التي تعمل بها في دول أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية ووصفها بأنها: أسلوب سياسي ويهدف شعبويوا أوربا أن يقولوا للجمهور ثقوا بي واتبعوني [15]. ولكي نتمكن من التميز بين اليمين المتطرف واليمين الشعبوي يجب الإشارة إلى أن اغلب حركات اليمين الشعبوي في الغرب كانت بداياتها الفكرية والسياسية في أحضان اليمين المتطرف لكنها مع مرور الوقت وصعود قيادات جديدة كاريزمية لهذه الحركات تعاملت بواقعية سياسية مع الوضع السياسي في بلدانها وعدلت من خطابها المتطرف لتقدمه للناخب الأوربي في شكل برامج سياسية تخدم تطلعات الطبقات المهمشة المتضررة من

[13] منى خويص مصدر سبق ذكره ص 35 .
[14] الكسندر دورنا ,"مرجع سابق.
[15] منى خويص مصدر سبق ذكره, ص 166 .

سياسات النخب التقليدية الحاكمة وتقديم نفسها كمدافع عن الهوية و السيادة في وجه النخب الفاسدة.

يقول (عزمي بشارة) إن الفرق بين اليمين المتطرف واليمين الشعبوي هو أن: اليمين المتطرف حركة نخبوية تطرح أفكارا غالبا ما تكون إيديولوجية يصعب على المجتمع التكيف معها أما اليمين الشعبوي فلا تهمه الايدولوجيا بقدر ما يهمه مخاطبة مشاعر قسم كبير من المجتمع واجتذاب الفئات الموجودة على هامشه .[16] بينما يرفض (فلورباي) ذلك دون أدنى تردد قائلا إن "بإمكان الشعبوية أن تكون من اليسار. انظروا على سبيل المثال إلى الرئيس الفنزويلي السابق هوغو شافيز". كما يقول (أوليفييه ايهل) إن هذا "المصطلح يعني خصوصا الحركات اليسارية في أمريكا اللاتينية". أما في أوروبا، فإن الشعبوية تعني عادة حركات اليمين أو اليمين المتطرف، "وهذا استخدام ناجم عن التقاليد"، وفقا لروجيه، ويتابع أن كلمة "'شعبي' صفة يسارية، كما هو الحال مع الجبهة الشعبية. أما مفردة ' شعبوي' فلم تكن أبدا يسارية"، أما "الشعبوي" في فرنسا، فهو من يتلاعب بأفكار الناس لغايات سياسية" حسب قوله.

وفي خطاب اليسار المتطرف الأوروبي، على غرار حزب (بوديموس) في إسبانيا، هناك "شعبوية إلى حد كبير" مثل التعارض بين "الصغير" و"الكبير"، لكن "رفض استخدام كراهية الأجانب والعنصرية في خطبهم" يفصل بينهم وبين "اليمين الشعبوي". [17] تؤكد معظم التفسيرات التقليدية لهذا الاتجاه على أهمية عاملين اثنين هما: العولمة والأزمات الاقتصادية في أوروبا التي نتجت عن الأزمة المالية لسنة 2008. لكن التيار الشعبوي الحالي هو جزء من قصة طويلة ومتجذرة في فترة ما بعد الثورة الصناعية، والتي أدت إلى تغييرات أساسية في المجتمعات الأوروبية في الستينات. خلال تلك السنوات، أدى تراجع الصناعة والتراجع الحاد في ممارسة الشعائر الدينية إلى ضعف الدعم الذي كانت تتمتع به أحزاب وسط اليسار ووسط اليمين، والتي لطالما كانت تعتمد على الطبقة العاملة والناخبين المتدينين. وخلال الخمسة والعشرين سنة التي تلت تلك الفترة، شهدت أوروبا إعادة هيكلة تدريجية لسياستها، وبذلك، تخلى الناخبون عن دعمهم للأحزاب القديمة التي أصبحت غير إيديولوجية، أو كما كانت تصفها الأحزاب الجديدة: "ذات إيديولوجيات ضيقة نسبيا".

الجذور التاريخية للشعبوية

بعد قيام الثورة الفرنسية 1789- 1799 وفتحها المشهد السياسي أمام عامة الشعب إذا جعلت من الشعب عنصرا فاعلا في العملية السياسية وأرست مقاربات راديكالية وشعبوية رغم إسهاماتها في مجال إرساء القوانين المدنية وحقوق الإنسان إلا أنها سمحت بظهور حكام شعبويين وعناصر شعبوية استبدادية على أكتاف الشعب ومن ابرز أمثلتها الجنرال الفرنسي (بولانجيو 1886- 1887) الذي يعد نموذجا بارزا للقائد الشعبوي الذي استغل منصبه في وزارة الحربية في الجمهورية الثالثة في محاولة استمالة الشعب ووقوفه مع عمال المناجم

---

[16] ريناس بنافي, صعود اليمين المتطرف ,الأسباب والتداعيات : 13آيار 2017 https://democraticac.de

[17] ماذا يعني مصطلح "الشعبوية؟ متاح على الربط : https://www.france24.com/ar/20161202

المضربين فكان قاب قوسين أو ادنى من القيام بانقلاب عسكري للوصول للسلطة إلا أن محاولته باءت بالفشل وفر هاربا إلى بلجيكا سنة 1887[18]

تعود جذور نشأة "الشعبوية" إلى الفترة الواقعة بين ثلاثينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر، حين بدأت نزعتها في كل من روسيا القيصرية والولايات المتحدة. وكانت في الأصل تُطلق على حركة زراعية ذات ميول اشتراكية سعت لتحرير الفلاحين الروس حوالي 1870، فحركة "نارودنيكي" كانت تقدس الفلاحين والكلمة الروسية (NARODNICHEESTVO) تعني " الشعبية " وفي العديد من الاعمال التاريخية والاجتماعية تم وصفها بالشعبوية فكل المثقفين السلاف الذين كانوا يمثلون هذا النوع من الشعبية كانوا يطابون العودة إلى الحياة القروية وكان شعارهم " KHOZHDENIYE V NAROD" بمعنى العودة للشعب[19]وتزامنت مع تنظيم احتجاجات في الريف الأميركي موجهة ضد المصارف وشركات السكك الحديدية حيث كان حزب الشعب الامريكي والذي نبع عن تحال الفلاحين (FARMERS ALLIANCE) ودافع ممثلوها عن مصالح الفلاحين ضد الجهات المشار اليها آنفا كان الشعبويون الامريكان في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين اول من اطلق على أنفسهم اسم " الشعبويون" ولم يكن هناك في الاصل كلمة تشتق منها صفة ,تستعمل لوصف أعضاء " حزب الشعب " وزعمائه فالكلمات (pops,populistes,populist) كلها كانت حمولة سلبية ..[20]. ويمكن أعتبارها الموجة الاولى لظهور الشعبوية. أما الموجة الشعبوية الثانية فقد ظهرت في فترة مابعد الحربين العالميتين اذ كانت الهزيمة أو أحباط النصر سببا مؤثرا إلى حد بعيد في ظهور الافكار والتيارات الشعبوية فالشعب الالماني كان يستشعر الهزيمة وذلها ولم يكن يجد في جمهورية فايمار أداة تعويضية ونفس الامر ينطبق على الشعب الايطالي الذي اعتبر أنه حرم من ثمار النصر الي تحقق له فبات يشعر بضرب من التحدي الهائل ويبدي إزاءها حذرا مالبث أن يغذي الشعبوية الموسولينية ثم جات ازمة سنوات 1929 لتكمل مابدأ وتشجع الحركات ذات الاستلهام الشعبوي في اوربا . وظهرت الموجة الثالثة للشعوبية في فترة تحرر دول اعالم الثالث من الاستعمار وعلى هامش الصراع بين الشرق والغرب في امريكا اللاتينية في البرازيل وفي تحول البيرونية الارجنتينية الى مؤسسة أما في اوربا فان الظاهرة عادت لتعلن ظهور الموجة الرابعة للشعبوية رغم أن الحرب الباردة خففت من حدتها في مواجهة نظام سوفياتي لم تعد له أي جاذبية بعد ربيع براغ 1968 , فأن شعبوية اليمين راحت تلوح في الافق , اما السويد فكانت ساحة مناورة لحزب الرايخ الشمالي (Parti Du Reich NRP-Nordique) الذي جرى انشاؤه العام 1956 اما الحزب الريفي الفنلندي (SMP) فباشر دخوله للبرلمان في آذار 1970 بعد ان حصل على 10.5 %من الاصوات بعد ان صوت

(18) يان فيرنر مولر مصدر سبق ذكره ص 39.
(19) نفس المصدر اعلاه ص 39 .
(20) المصدر السابق أعلاه ص 41.

له صغار المزارعين الاطرافيين الذين تتهدهم الانطلاقة الراسمالية وكان رئيسه فيكو فينامو هو الذي أطلق وروج مفهوم ((الأمة المنسية))[21]. وظهرت الشعبويَّة على نحو بارز عشيَّة انهيار جدار برلين عام 1989، والإطاحة بأنظمة أوروبا الشرقيَّة الاشتراكيَّة وأنتشار العولمة وانهيار الحدود بين الدول.

بناءا على ماتقدم يتبين لنا ان الظاهرة الشعبوية تظهر وتنمو وتنتشر مع الازمات الكبرى والتغيرات الحادة والتقلبات والصراع السياسي بين القوى الكبرى والتي تعقبها تداعيات اقتصادية واجتماعية تتجسد يظهور رؤى وافكار تحمل مسؤولية الهزات السياسية والاجتماعية للنخب والمؤسسات الفاسدة والمطالبة بالعودة للشعب لمعالجة الاخطاء والانحرافات ويستثمر من قبل قيادات كارزمية توظف ردود افعال الجماهير الغاضبة لتحقيق غايات سياسية بما فيها الى الوصول للسلطة.

المطلب الثاني : خصائص الحركات الشعبوية

تتسم الحركات الشعبوية بخصائص متعددة ومتنوعة تميزها عن الحركات السياسية والاجتماعية الاخرى ويمكن تلخيص أهمّ خصائص الحركات الشعبويَّة بمايلي:

1- تعارض الشعبوية مع ما هو قائم، ومعاداتها للنخب، وتشديدها على التجانس الذي يجمعها في إطار انقسام بين "النحن" والـ"هُمْ"، والنخب في تصور الشعبويون اليمينين تدخل في تحالف مشؤوم مع الطبقات الفقيرة الطفيلية والتي لاتنتمي إلى الشعب الحقيقي [22], إن أهم ما يميز الخطاب الشعبوي اليميني هو الادعاء بانه يتبنى الدفاع عن مصالح الشعب في مواجهة النخب السياسية الحاكمة الفاسدة والمفُرطة في هوية ومصالح شعوبها والمتحالفين معها. وقد أشارت الباحثة (كريستا ديويكس) في دارسة لها بعنوان "الشعبوية "إن الميزة الأساسية لهذه الحركات هي إيمانها بمحورية دور الشعب في العملية السياسية التي يجب أن تعكس بشكل مباشر الإرادة الشعبية ولذلك فان لدى هذه الحركات نفورا من النخب والمؤسسات السياسية المختلفة [23].

2- تؤمن الشعبوية بزعامة مطلقة للقائد الملهم ذي الشخصيَّة الكاريزمية، وحشدها الجموع كمصدر للقوَّة وخطاب يستبعد أيَّة حلول وسطيَّة، فضلاً عن إضفاء أحكام أخلاقيَّة عليه كمصدر للسلطة، ورفع شعارات راديكاليَّة فيما يتعلق بالإصلاح [24].

3- يمكن القول إنَّ الشعبوية كظاهرة هي إحدى علامات الأزمة في الوضع السياسي وفي الغرب تحديداً، مثلما هي دليل على خلل المؤسَّسات الديمقراطيَّة التمثيليَّة، وربَّما إحدى مظاهر انحسار الحداثة أو تدهور قيمتها.

---

[21] برتران بادي ودومنيك فيدال , أوضاع العالم 2019عودة الشعبويات , ترجمة نصير مروة ,مؤسسة الفكر العربي , بيروت ,ط1, 2019 , ص13-16.

[22] يان فيرنر مولدر ,مصدر سبق ذكره ص 46.

[23] كارن أبو الخير"الشعبوية تعود إلى المجتمعات الغربية" في6/6/ 2016 //:https www.siyassa.org.eg

[24] عماد سلامة- التحوّل الديمقراطي والشعبويّة الطائفيّة: حالة لبنان، مجلة المستقبل العربي، العدد 403 أيلول/ 2012.

4- إذا كانت الجماعات الشعبويَّة في الغرب في الخمسينيَّات والستينيَّات من القرن الماضي تنحدر من أصول يساريَّة في الغالب، وهي خليط من تيَّارات ماويَّة وتروتسكيَّة وقوميَّة، فإنَّ الحركات الشعبويَّة اليوم هي من التيَّارات اليمينيَّة

5- الشعبوية ليست عقيدة سياسيَّة أو آيديولوجيا، لكونها لا تتجسَّد في نمط محدَّد أو نظام سياسي بعينه ولا في مضامين فكريَّة واحدة، وهي مختلفة عن الحركات ذات الطابع الثوري التقليدي، ولكنَّها بشكل عام هي أسلوب جديد يتخذ شكل الاحتجاج وردود الأفعال تتبنّاه حركات متنوّعة تزعم انتسابها جميعها إلى الشعب والتعبير عنه، وهي غالباً ما تكون خارج السلطة وحين تصل إلى السلطة تفقد في الغالب مبرّر وجودها، خصوصاً افتقارها إلى مشروع سياسي واضح ومحدَّد

6- إدعائها تمثيل الشعب لوحدها، خصوصاً حين يتمّ ربط ذلك أخلاقيّاً بالشعبويين بصورة دائمة وغير قابلة للقياس، فمنافستها "نخبة فاسدة" تلتقي الشعبوية مع مصطلح مقابل لعا وهو "الشعب فالشعبوية كما سبق بيانه خطاب موجه للشعب الذي تدعي جميع حركات اليمين الشعبوي في الغرب أنها تعبر عن إرادته وتدافع عن مصالحه وهويته وتجنيده للدفاع عن نفسه في وجه النخب المهيمنة والفاسدة. ولكن الشعبوية بعكس "الديمقراطية "التي تبحث عن الجانب التمثيلي الأمثل لكل فئات الشعب فهي لا توجه خطابها لكل فئات الشعب بل إلى فئة معينة وهي الشعب الحقيقي والسكان الأصليين (استبعاد السكان الطارئين كالمهاجرين) أي الشعب النقي الذي تجمعه الروابط القومية والاثنية والتقاليد المسيحية الأوربية . يقول الباحث "كاس مودي" إن الشعبوية هي الايدولوجيا التي تقسم المجتمع إلى مجموعتين متجانستين وعدائيتين ,الشعب النقي والنخبة الفاسدة وهي أيضا الايدولوجيا التي تعتبر أن السياسة يجب أن تكون تعبيرا عن الإرادة العامة للشعوب[25] فالشعب كلمة ملتبسة عند الشعبويين فهي لا تعني عموم سكان البلد بل المواطنة عندهم تكون على أساس القرابة الدموية والنقاء العرقي للرجل الأبيض والهوية المسيحية.

7- ارتباطها بسياسات الهويَّة، وهذه تتطلّب الاعتراف بشروط عادلة للعيش المشترك، لا سيَّما بتوفّر الأسس السليمة لفكرة المواطنة والاتحاد الطوعي لمواطنين أحرار متساوين، ولكنّهم في الوقت نفسه مختلفون، لأنَّهم متنوّعون. أمَّا محاولة إلغاء الفروق تحت فكرة "الشعب الواحد" المتجانس الذي لا اختلاف بين أفراده، فهي نزوع إلى الهيمنة وإملاء الإرادة، إضافة إلى كونها ضرب من الوهم، فالاختلاف والتنوُّع من طبيعة الأشياء. وهكذا فالشعبويُّون يعاملون الآخرين بالجملة بصفتهم "أعداء الشعب"، لأنَّ الشعب صيغة جمع لـ"نحن"، وما عداه ليس سوى أشتات متفرّقة خارج الإطار الكلّي الذي يزعمون تمثيله. والدفاع عن الهوية القومية والتقاليد المسيحية فمعظم حركات اليمين الشعبوي تقدم نفسها مدافعا عن الشعب ومعبرار عن إرادته وتركز على الدفاع عن اهوية القومية والنقاء العرقي والجذور المسيحية للغرب ضد ثالوث النخب السياسية الحاكمة والأجانب الوافدين والقيم الليبرالية الجديدة والمتمثلة في

[25]. كاس مودي ," صعود الشعبوية في أوربا " 2016 /10/26 , متاح على الرابط:
https:// www.noonpost.org:

المؤسسات العابرة للقوميات خاصة الاتحاد الأوربي وخطر فكرة اليهوية الأوربية الموحدة التي يعمل عملى تجسيدها القادة الأوربيون على الهويات المحلية.

8- إنها تشعر بالاستياء بشكل خاص من العالمية المستنيرة وترى أن الأممية تتناقض مع مصالح الناس العاديين. بالنسبة للشعبويين "عالمية" هي النخبوية ذات النغمات الدولية وتشجع على الشعور بالغضب والاستحقاق بين أولئك الذين يشعرون أنهم مستبعدون من هذا "التقدم" الخاص (التدويل).[26]

9- الشعبوية كبح لجماح العولمة المتمردة والتي لا حدود لها فهي تشكل وقفة لإسماع صوت الشعوب.

10- الشعبوية ليست نتاج ظروف اقتصادية واجتماعية معينة وظرفية بل أسبابها عميقة أهمها عامل الهوية القومية الذي لا يزال حيا في المجتمعات الغربية ويشكل حجر الزاوية في العملية السياسية فالهوية غير قابلة للاختزال أو المساومة فالقومية والوطنية متجذارن وبقوة في مفهوم الاثنية في أوربا.

المبحث الثاني: الحركات الشعبوية في اوربا وتأثيرها السياسي

بالرغم من صعود اليمين الشعبوي واستلامه للسلطة في عدة بلدان ديمقراطية في أوربا شرقا وغربا وتصويت المواطنيين البريطانيين للخروج من الاتحاد الاوربي لم يستشعرالباحثين المختصين بالنظم الديمقراطية خطر التحول الشعبوي على هذه النظم إلا مع وصول الزعيم الشعبوي دونالد ترامب الى البيت الأبيض عقب الأنتخابات الرئاسية الأمريكية الاخيرة إذ بدا لهم أن حجم الخطر الذي يحدق بتجارب البلدان اكبرمن ان يتم تجاهله، وقد وصل أخيرا إلى مركز الدميقراطية الراسخة المنظومة الليبراللية التي تدير العالم وازداد حجم المخاطر تلك بعد ترؤوس بوريس جونسون الحكومة البريطانية واصراره على انجاز البريكست .

المطلب الاول: التاثير السياسي للحركات الشعبوية الاوربية

تتبنى العديد من الحركات الشعبوية فكرة الديمقراطية الاجتماعية، وكثير منها مستوحاة من المفهوم الذي طرحه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير والذي يتعلق بحزب العمال الجديد والمفهوم الذي طرحة المستشار الألماني غيرهارد شرودر المتعلق "بالمركز الجديد". أما الأحزاب اليمينية الوسطية التقليدية، فقد تجردت من هوياتها التاريخية مع تبني قادة مثل ميركل وديفيد كاميرون نهجا أكثر وسطية وواقعية فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية والثقافية. خلق هذا التقارب أرضا خصبة للشعبوية، حيث بدأ الناخبون رؤية التشابه بين النخب السياسية بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية. وبالنسبة للعديد من الأوروبيين، يبدو أن النخب السائدة في كل الأحزاب تتشارك عجزاً لا مفر منه، وذلك لاثنين من التحولات التي وقعت في النصف الثاني من القرن العشرين من الحكومات الوطنية إلى الكيانات الدولية، مثل الاتحاد الأوروبي أو صندوق النقد الدولي، ومن المسؤولين المنتخبين ديمقراطيا إلى المسؤولين غير المنتخبين، مثل مسؤولي البنوك المركزية والقضاة. في العديد من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، لم تعد القضايا الحيوية مثل مراقبة الحدود والسياسة النقدية مسؤولية حصرية للحكومة الوطنية، ما أدى إلى ظهور ما يعرف "بسياسة تينا" وهو اختصار لعبارة "لا يوجد

---

(26) Richard Higgott and Virginia Proud Populist-Nationalism and Foreign Policy Cultural Diplomacy, International Interaction and Resilience. Institut für Auslandsbeziehungen. Munich.2017 p20.

بديل"[27]، وهي العبارة التي عادة ما تستخدمها النخب السياسية كحجة ليثبتوا أن مسؤوليتهم في الاتحاد الأوروبي أو صندوق النقد الدولي تفوق واجبهم الذي يتعلق بالاستجابة لمطالب الناخبين. وفي الوقت نفسه، فإن ظهور الانترنت أنتج ناخبين مهتمين أكثر بالنقاشات السياسية وناخبين أكثر استقلالية في التفكير ما جعلهم يتوجهون لمزيد من النقد دون احترام للنخب التقليدية. أصبحت الأحزاب والحركات الموصوفة بـ"الشعبوية" قوة سياسية واجتماعية حاضرة بقوة بأنحاء أوروبا وأميركا خاصة في أوساط اليمين المتطرف بينما يؤكد الخبراء شبه غيابها في بلدان آسيا بما فيها الدول ذات الاقتصادات المتقدمة مثل اليابان وكوريا الجنوبية، وضعفها في أميركا اللاتينية التي طالما كانت "الشعبوية" من العوامل المساعدة لحكم اليساريين فيها.

في ضوء نتائج الانتخابات التي أجريت في الخمس سنوات الأخيرة في الدول الاوربية تحصل حزب شعبوي واحد على الأقل على نسبة 10% في المائة من 16.5 أو أكثر من الأصوات دولة أوروبية. وبشكل جماعي، سجلت الأحزاب الشعبوية نسبة 16. 1 % في المجر، لكنها لم تتعد 65 الأصوات كمعدل، ووصلت هذه النسبة إلى في المائة في لوكسمبورج. ويسيطر الشعبويون على أكبر حصة من المقاعد البرلمانية في ستة بلدان هي: اليونان، والمجر، وإيطاليا، وبولندا، وسلوفاكيا، وسويسرا. وفي ثلاثة من هذه (المجر، إيطاليا، وسلوفاكيا)، اكتسبت الأحزاب الشعبوية مجتمعة أغلبية الأصوات في الانتخابات الوطنية الأخيرة، على الرغم من أن الأحزاب الشعبوية الرئيسة في المجر وإيطاليا كانت خصوما في الانتخابات أصبحت أوروبا الوسطى بشكل خاص أرضا خصبة للشعبوية، حيث يستغل بعض القادة الخوف من الهجرة في أماكن أخرى من أوروبا لتقويض الضوابط والتوازنات التي تقيد سلطتهم في الداخل. ولكن الشعبويين واجهوا مقاومة هناك أيضا. ففي بولندا، وسط احتجاجات عامة كبيرة وانتقادات دولية قوية، بما فيها من مؤسسات الاتحاد الأوروبي، اعترض الرئيس أندجيه دودا على محاولة للحكومة لتقويض استقلال القضاء وسيادة القانون. وفي المجر أعاق التهديد بإجراءات قانونية من الاتحاد الأوروبي، فضلا عن الإدانة الدولية، بما في ذلك من الولايات المتحدة، خطط الحكومة لإغلاق "الجامعة الأوروبية المركزية"، معقل الفكر المستقل الذي يقف في وجه "الديمقراطية غير الليبرالية" التي يقودها رئيس الوزراء فيكتور أوربان. وفي حالة بولندا على الأقل، هناك اعتراف متزايد في مؤسسات الاتحاد الأوروبي وبعض الدول الأعضاء بأن اعتداءاتها على الحكم الديمقراطي تشكل تهديدا للاتحاد برمته. ونظرا لموقف بولندا والمجر كمستفيدَين رئيسيين من تمويل الاتحاد الأوروبي، بدأ النقاش حول ما إذا كان ينبغي ربط هذه المساعدات بدعم القيم الأساسية للاتحاد.[28]

يعد عام 2016 "عام الشعبوية السياسية بامتياز" لصعود حركاتها البارز في المشهد السياسي في اوربا الغربية، حتى إن مصطلح "الشعبوية" صار يتردد في المنابر الإعلامية عند

---

(27) كاس مودي , مصدر سبق ذكره .

(28) كينيث روث، مواجهة التحدي الشعبوي , التقرير العالمي لمنظمة حقوق الانسان 2018, متاح على الرابط:

https://www.hrw.org/ar/world- report/2018/ keynote/313517 ?fbclid=IwAR15B rNi6v3 b0 fG4amq Nv1nel

كل عملية اقتراع تجرى في هذه البلدان. ويستشهدون بعلو أصوات التيارات "الشعبوية" في استحقاقات انتخابية عديدة، ابتداء من الاستفتاء البريطاني للخروج من الاتحاد الأوروبي، ومرورا بحملة الرئيس الأميركي المنتخب دونالد ترمب، وانتهاء بالاستفتاء الدستوري بإيطاليا الذي كان سيمهد لخروجها من الاتحاد الأوروبي لو نجح إثر فوز حملة حركة "خمس نجوم" الموصوفة بـ"الشعبوية" والرافضة لهذه التعديلات. أثارت موجة الصعود السياسي للحركات "الشعبوية" مخاوف المتمسكين بالديمقراطية ودولة القانون والرافضين لكل سياسة مبنية على أسس تمييزية، ورأوا فيها ظاهرة سياسية يمكن أن تحدد ملامح مستقبل الديمقراطيات المتقدمة في الغرب كما توقعوا أن تزلزل مستقبلا القاعدة السياسية المؤسسة للنظم الغربية المستقرة، وتهدد بالانزلاق في مساوئ الكراهية والتحيز، ويعزو اقتصاديون الارتفاع الحالي للتيارات "الشعبوية" إلى الإفراط في العولمة منذ تسعينيات القرن العشرين، مع تحرير التدفقات المالية الدولية، وإنشاء منظمة التجارة العالمية، وتباطؤ النمو الاقتصادي العالمي، وتفاقم عدم المساواة في الدخل والثروة، وانعدام الأمن الاقتصادي، وتزايد موجات الهجرة العالمية. ويقول المراقبون إن الجماعات التي تتشارك "الأيديولوجية الشعبوية" تشمل تيارات متنوعة ومتباينة، وتوجد في البلدان الراكدة والمزدهرة اقتصاديا على حد سواء، إذ تقدمت "الشعبوية" سياسيا في دول تعتبر معدلات البطالة فيها منخفضة والدخول في ارتفاع. بطبيعة الحال، لن تؤثر الزيادة في الشعوبية على الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي فحسب ، بل على النظام المؤسسي للاتحاد الأوروبي بأكمله.

ستبقى الأحزاب الرئيسية، التي تمثل تشكيلات يمين الوسط، يسار الوسط والليبرالية ستظل متمسكة بالأغلبية في البرلمان الأوروبي (EP) بعد عام 2019. في نفس الوقت، كأول مرة في تاريخ البرلمان الأوروبي، لن يحظى حزب الشعوب الأوروبية (EPP) والاشتراكيين والديمقراطيين (S&D) بالأغلبية معًا، فسوف يحتاجون إلى "شريك ائتلاف" آخر إذا كانوا يريدون الاستمرار في تشكيل مستقبل أوروبا. من المهم أيضًا التأكيد على أن القوى الأوروبية / الشعبية ستكون بعيدة عنالأغلبية في أي من مؤسسات الاتحاد الأوروبي.[29] بعبارة أخرى، سيكون نصيب إجمالي الشعبويين، بدعم من قرابة ربع الناخبين الأوروبيين، كبيرًا بدرجة كافية لتجعل من الصعب على التيار السائد تجاوز الشعبويين في عملية صنع القرار. ومع ذلك، فإن القوى الشعبوية لن تكون قوية بما يكفي لممارسة السيطرة على مستقبل أوروبا بعد انتخابات الاتحاد الأوروبي عام 2019. ستظل القوى السياسية المؤيدة لأوروبا هي الجهات الفاعلة الرئيسية فيما يتعلق بتوجيه الاتحاد الأوروبي.

ما هو تأثير الخطابات الشعبوية في بنية النظام الديمقراطي الليبرالي؟

يعبر هذا الخطاب - بحسب مونك - عن خطرين متكاملين: الأول الحالة الإقصائية وهي ليست مقتصرة، على نوع معين من الخطابات السياسية بل تشمل التيارات اليمينية واليسارية. الصيغة الاقصائية في لحظة السجال السياسي تصل إلى المطالبة بصهر الأفكار السياسية جميعها في قالب واحد خدمة للتيار السياسي فيحمل بالتالي هذا النوع من الخطاب في طياته تراجعات

[29]Tamás BOROS& Maria FREITAS& Gergely LAKI& Ernst STETTER . European Progressive Studie, Brussels, Belgium,2018,p12

وخيبات أمل عن الممارسة الثقافية للديمقراطية وحرية التعبير لطالما اعتمدت على الرأي والرأي الأخر ولم يفرز إشكالات ضمن سياقاتها السياسية. الخطر الثاني هو، أنتقال الخطاب الشعبوي عند اليسار واليمين المعادي لقيم الليبرالية مع مرور إلى خطاب مناهض للديمقراطية. علاوة على ذلك يجري اليوم طرح أسئلة عدة في الدول الأوروبية وفي مقدمتها: هل الدكتاتورية الشمولية أكثر فاعلية من الديمقراطية؟ ففي استبيان مؤسسة (Ouest–France) الذي نشرته جريدة(Ifop4) في 31 تشرين الاول 2018 ظهر أن 41% من الفرنسيين جاهزون للوثوق في النظام الحكم الشمولي لإجراء عمليات إصلاح شاملة في البلاد[30].

نتيجة تعاظم مد الحركات الشعبوية وتصاعد خطابها المليء بالعنصرية وكراهية الاجانب بدءت المنظمات الدولية والمؤسسات الدينية بالاهتمام بهذه الظاهرة ودراسة معالجة تداعيات الخطاب الشعبوي العنصري عقد ا□ؤ□ر ا□اص □حاربة " كراهية الاجانب والعنصرية والقومية الشعبوية □ سياق الهجرة العالمية " بتنظيم مشـ□ك بـ□ (المجلس ا□□ي لل□وض بالت□ية الب□ية ومجلس الكنائس العا□ي بالتعاون مع المجلس البابوي لتعزيز الوحدة ا□سيحية التابع للفاتيكان) في روما، خلال شهر ايلول 2018 وقد عرف المؤتمر القومية الشعبوية في البيان الختامي(القومية الشعبوية هي إستراتيجية سياسية تسعى الى استغلال مخاوف الافراد والجماعات وتعزيزها من اجل تأكيد الحاجة الى سلطة استبدادية من اجل حماية مصا□ المجموعة الاجتماعية أو العرقية المهيمنة على أرض معينة وهي تقوم على اساس الحماية التي يبرر بها الزعماء الشعبويون رفض تقديم المآوى واستقبال وادماج افراد أومجموعات من دول اخرى وسياقات ثقافية أو دينية مختلفة) [31]. وعلى مستوى الامم المتحدة فقد نشر مجلس حقوق الانسان التابع للجمعية للامم المتحدة في دورته الخامسة والثلاثون التي عقدت للفترة من 6-23 حزيران 2017 تقرير المقرر الخاص المعني بالاشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الاجانب ومايتصل بذلك من تعصب، حيث اشار التقرير بالفقرتين 11و12 لخطورة تصاعد نشاطات الحركات الشعبوية واثارها الخطيرة على السلم الاجتماعي واستهدافها المكونات الضعيفة في المجتمعات مثل المهاجرين واللاجئين والاقليات [32] .

ولفتت منظمة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة الاشارة الى (لا يتطلب الرد على هذا التحدي الشعبوي معالجة المظالم المشروعة التي تكمن وراءها فحسب، بل أيضا إعادة التأكيد على مبادئ حقوق الإنسان التي يرفضها الشعبويون. يتطلب إبراز حسنات الحكومات التي تخضع للمساءلة أمام شعبها بدلا من تعزيز سلطة مسؤوليها وإثرائهم. ويتطلب إثبات أن حقوقنا جميعا معرضة للخطر إذا ما سمحنا للحكومات أن تقرر من يستحق أن تُحترم حقوقه. كما يتطلب تذكير الناس العاديين بأنهم بحاجة إلى حقوق الإنسان بقدر ما يحتاج إليها المعارضون والفئات

---

(30) ياشا مونك .الشعب مقابل الديمقراطية: لماذا حريتنا في خطر وكيف ننقذها/ : جامعة هارفارد: الولايات المتحدة الأميركية مراجعة: مالك عيطة دار النشر, مركز حكرون للدراسات المعاصرة ,2018, ص 6.

(31) البيان الختامي لمؤتمر محاربة كراهية الاجانب والعنصرية والقومية الشعبوية في سياق الهجرة العالمية أيلول2019 .

(32) الجمعية العامة للامم المتحدة , مجلس حقوق الانسان تقريرالمقرر الخاص المعني بالاشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الاجانب ومايتصل بذلك من تعصب ,نيويورك ,2017/4/26.

المستضعفة. وكانت رغبة القادة الديمقراطيين في التصدي لهذا التحدي والدفاع عن حقوق الإنسان متأرجحة. فقبل عام، عندما كانت الرياح تبدو مواتية للشعبويين، لم تجرؤ سوى قلة على التصدي لهم. ولكن في العام الماضي، بدأ الأمر يتغير ليصبح مرئيا).[33]

المطلب الثاني: حركة خمس نجوم في إيطاليا

لكون حركة النجوم الخمسة الشعبوية في ايطاليا من أكثر الحركات الشعبوية تأثيرا في المشهد السياسي في ايطاليا ولكونها تعد نموذجا تنطبق عليها معيير وشروط الحركة الشعبوية فقد تم اختيارها لتكون إنموذجا للدراسة ضمن بحثنا.

حركة النجوم الخمسة

(بالإيطالية: MoVimento 5)

تأسست الحركة عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي وانتشرت بسرعة عبر الانترنت عن طريق مدونة للممثل "بيبي غريللو". أطلق غريللو مدونته في عام 2005، وجعل منها منبراً وخاصة لفئة الشباب لمناقشة كافة المواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المواضيع التي عبئت الشارع الإيطالي ضد الأحزاب السياسية الموجودة على الساحة، تأسست رسميا في 4 تشرين اول 2009 من قبل جوزيبي غريللو، الكوميدي والناشط المدون في المجال العام(جوزيبي بييرو غريللو والمعروف باسم بيبي غريللو ولد 21 يوليو 1948، هو ممثل وكوميدي ومدون وناشط سياسي إيطالي. أصبح ناشطًا سياسيًا منذ 2009 ، لكنه لا يشغل أي منصب عام. عمل غريللو ممثلًا في شاشات السينما والتلفزيون) وجيانروبرتو كازالدجيو المستشار في استراتيجيات الأنترنيت يتبع التنظيم سياسات شعبوية معادية للفساد ومناصرة للبيئة ومتحفظة جزئيًا على سياسات التكامل الأوروبي. يدعم التنظيم الديمقراطية التشاركية والديمقراطية المباشرة والديمقراطية الإلكترونية والوصول المجاني للإنترنت ومبادئ السياسات غير المكلفة وسياسات تراجع النمو[34] يتضمن برنامج حركة النجوم الخمسة عناصر من السياسات الليبرالية الأمريكية والسياسات اليمينية الشعبوية. ويؤكد أعضاء هذا التنظيم على أنه ليس حزبًا بل "حركة"، ولا يمكن تصنيفه في تصنيفات الاتجاه السياسي اليمينية أو اليساري.

أفكار وأيدولوجية حركة خمس نجوم :

برزت الحركة في أعقاب الأزمة الاقتصادية التي تأثرت بها معظم الدول الأوروبية، فكانت الظروف ملائمة للالتفاف الجماهيري حولها، ولا تحبذ هذه الحركة اطلاق اسم حزب

---

[33] كينيث روث، مواجهة التحدي الشعبوي ,مصدر سبق ذكره .

[34] ماهي حركة "خمس نجوم" الإيطالية التي تناهض التدخل العسكري في سوريا والعراق متاح على الرابط : https://www.bbc.com/arabic/middleeast-43289644

سياسي عليها لأنها ترى نفسها " نظيفة" ولا تتساوى مع الأحزاب التقليدية في السلطة التي تلاحقها شبهات الفساد واستغلال السلطة. فهي تفضل أن يبقى اسمها حركة شعبوية مناهضة للفساد ليس لدى الحركة أيديولوجية معينة، بل خليط من الأيديولوجيات التي تستمد أفكارها من التيار الشعبوي واليميني والبيئي، ولا يرغب أعضاؤها في تصنيفهم في خانة اليسار أو اليمين، كما ترفض التدخلات العسكرية الأوروبية والأمريكية في الشرق الأوسط وخاصة سوريا والعراق. وتسعى الحركة إلى تغيير ما يسمى ب "اتفاقية دوبلن " التي تنص على وجوب تقديم المهاجرين لطلبات لجوئهم في أول دولة يصلون إليها في الاتحاد الأوروبي. وخفض المساعدات للدول التي ترفض قبول المهاجرين، والبحث عن بدائل لعملة اليورو والتحالف مع دول أوروبا الجنوبية، ومعارضة سياسات التقشف، وحماية منتجات "صنع في إيطاليا". كما تسعى إلى التمثيل النقابي الحر، ومشاركة العمال في صنع القرار، وتقصير يوم العمل، وتحفيز العمل بدوام جزئي. والخمس نجوم هي إشارة إلى خمس قضايا رئيسية هي: المياه العامة والنقل المستدام والتطوير والاتصالية وحماية البيئة. [35]

فحركة الخمس نجوم الايطالية مثل الحركات الشعبوية الاخرى هي ضد المؤسساتية بالمطلق وتندد النخبة الايطالية ككل، لكنها تختلف عن نظرائها في شمال وجنوب اوروبا اذ يتكون انصارها من الطبقة الحضرية أو المتوسطة أو حتى الطبقة الوسطى العليا، بدلا من ان تعتمد على الطبقة العاملة المتدهورة.[36]

التأثير السياسي لحركة خمس نجوم في المشهد السياسي الإيطالي:

في الانتخابات التشريعية التي جرت في شباط 2013، حصدت الحركة 109 مقاعدًا في مجلس النواب و54 في مجلس الشيوخ. في حين أظهرت النتائج الأولية للانتخابات التشريعية الإيطالية التي جرت في الرابع من آذار 2018، تقدماً كبيراً لحركة "خمس نجوم" الايطالية، والتي إن فازت فسيكون فوزا تاريخياً لها، حيث حصلت على نسبة 32.6 في المئة من اصوات الناخبين كما تشير التقديرات. وتصف الحركة نفسها بـ "الشابة والشعبوية" والبديلة للأحزاب التقليدية، صعد نجمها بسرعة فائقة حيث فازت في حزيران 2016 في انتخابات بلدية روما. وسرعان ما تصدرت الصحف المحلية والعالمية عندما سيطرت على المشهد السياسي الايطالي في نتائج الانتخابات التشريعية لعام 2018. وكسرت الحركة ثنائية اليسار الاشتراكي الديمقراطي واليمين الليبرالي اللتان استحوزتا على المشهد السياسي الإيطالي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. أعلن زعيم الحركة لويجي ديمايو أنه سيستثمر 50 مليار يورو في عدة مجالات و أنه سيحارب البيروقراطية بمختلف أشكالها ويخفض الضرائب التجارية ويشجع الابتكارات والتكنولوجيا، وجعل الاقتصاد صديقاً للبيئة بشكل كامل بحلول عام 2050، وتمسك الحركة في

---

(35) للمزيد من التفاصيل الرجوع للموقع الالكتروني للحركة على شبكة الانترنيت على الرابط : https://www.movimento5stelle.it/

(36) فرانسيس فوكوياما ماهي الشعبوية؟ ترجمةحسين أحمد السرحان مركز الدراسات الاستراتيجية-جامعة كربلاء متاح على الرابط :

http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2017/12/06

البقاء في الاتحاد الأوروبي مع إحداث تغييرات في العلاقة بين إيطاليا و الاتحاد الأوروبي وقد تم تعيين رئيس حركة خمس نجوم الإيطالية(لويجي دي مايو) في منصب وزير الخارجية في حكومة الائتلاف وسط اليسارويعتبر من مؤسسي "مجموعة أصدقاء بيبي غريلّو" التي نشأت على خلفيتها حركة خمس نجوم. لويجي دي مايو، اوتم انتخابه العام الماضي ليحل محل مؤسس الحزب، بيبي غريلو، الذي أسس الحركة لم يكمل دي مايو دراسته الجامعية.. وصل إلى البرلمان لأول مرة في 2013 إثر فوزه بمقعد في الانتخابات التشريعية. وكانت حركة خمس نجوم اختارته لرئاسة الحكومة الإيطالية إثر فوزها في الانتخابات التشريعية في 2017. لكنها لم تنجح في ذلك. ورغم الائتلاف في الحكومة السابقة مع اليمين المتطرف ظل لويجي دي مايو يروج لخطاب يحاول فيه إظهار الكثير من الاختلافات مع حزب "رابطة الشمال". [37]

أسباب اختيار الناخبين الإيطاليين حركة النجوم الخمسة

أحد عوامل اختيار الناخبين الإيطاليين للأحزاب الشعبوية هو إضفاء الطابع الشخصي على السياسة وثقافة الزعماء المتزايدة. تم اعتبار كل من برلسكوني ورينزي قائدين كاريزميين، إلا أنهما فقدا مصداقيتهما وتم التخلي عنهما واستبدالهما بزعماء آخرين باستخدام نفس كتاب اللعب للزعيم الكاريزمي كان العامل الثاني هو الاقتتال الداخلي في اليسار الذي أدى إلى انقسامات مستمرة متباعدة، مما أدى إلى تدمير صورة الأحزاب في نظر الناخبين شهدت حكومة برودي وحكومة رينزي ، على وجه الخصوص ، العامل الثالث كان الأزمة الاقتصادية والمالية من عام 2008 فصاعدا. في الرأي العام، تُعزى مسؤولية الظلم الاجتماعي المتزايد والبطالة المتزايدة بسبب هذه الأزمة إلى الطبقة الحاكمة سابقًا. كما ساهم وصول عدد غير مسبوق من المهاجرين واللاجئين إلى السواحل الإيطالية في استياء واسع النطاق من الحكومة السابقة من المرجح أن المواطنين شعروا بالتخلي عنهم أو حتى استبعدتهم من قبل حكومة الديمقراطيين، التي ينظر إليها الكثيرون أيضًا على أنها متعجرفة وبعيدة وتم استيعابها في المشاحنات الداخلية، غير قادرة على فهم القضايا التي أثارها المجتمع الإيطالي مثل الأمن، والفقر المتزايد، عدم وجود وظائف مستقرة، ووجهات النظر القاتمة للشباب والإدارة غير الشعبية للهجرة[38].

ان حركة خمس نجوم لم تستطيع ان تصبح تصبح لاعبا رئيسيا في السياسة الإيطالية لعدة اسباب أذ لم تكن الأزمة الاقتصادية هي العامل الرئيسي الذي أدى إلى نجاح بيبي غريلو وحركته ، ولكن مع الأزمة السياسية ، ونزع الشرعية عن النخبة السياسية ، وانهيار النموذج الثنائي القطب المرتبط بسقوط حكومة برلسكوني الرابعة وتدابير تقشف مونتي اللاحقة أدى إلى زيادة عدم الرضا الشعبي الكبير بالفعل مع النخب السياسية وتحول السكان إلى حلول بسيطة تقدمها الجهات الشعبية مثل حرمة خمس نجوم يمكن اعتبار الحركة جهة فاعلة سياسية جديدة لها خصائص أصلية لما يسمى بـ "الشعوبية على الإنترنت" ، كمثال كلاسيكي لحزب احتجاج تبنى

[37] حركة خمس نجوم الايطالية متاح على الرابط : https://www.france24.com/ar/20190904

[38]Luigi TROIANI, on behalf of Fondazione Pietro Nenni Progressive Answers to Populism IN ItalyWhy Europeans vote for populist parties and how Progressives should respond to this challenge, Foundation for European Progressive Studies. Brussels, Belgium.2018,p90-91.

خطابًا معاديًا للسياسة ومؤسفًا لجذب الناس من كلا الاطياف السياسية دون تمييز أيديولوجي ومع ذلك ، فإن خطابها وأسلوبها السياسي يعتمدان على الصيغ التقليدية للشعبية الإيطالية[39].

الخاتمة

لقد شكلت الشعبوية ظاهرة سياسية في اغلب دول العالم وذلك في العقدين الأخيرين من القرن والعشرين وبداية القرن الحادي والعشرين ومما زاد من مؤشرات صعود هذه الظاهرة تحقيقها لنتائج انتخابية معتبرة مكنها من دخول برلمانات ديمقراطية عريقة وقيادة حكومات في قلب أوربا الغربية وترأس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بفوز دونالد تارمب بالانتخابات الرئاسية سنة 2016 وشهد النقاش السياسي والفكري حول الظاهرة الشعبوية في الغرب وبخاصة في الأوساط اليمينية سجالا بين رؤيتين هناك من يعتبرها ظاهرة عرضية ومرضا عابرا أصاب الديمقراطيات الغربية ويربطها بتداعيات الازمة الاقتصادية العالمية 2008 التي مست أوربا و أمريكا بشكل خاص سنة وبين من يعتبرها ظاهرة متجذرة في كل المجتمعات بما فيها الدول الغربية وان كانت أجواء الديمقراطية والنمو الاقتصادي ودرجة الرفاه التي عاشها المجتمع الغربي في فترة ما بعد . 1945 إلى بداية الثمانينيات لم تسمح بظهورها ومن خلال دارستنا لهذه الظاهرة في الأوساط اليمينية داخل الدول الغربية تبين لنا ما يلي:

1- إن الشعبوية أسلوب سياسي يظهر في كل المجتمعات وداخل الأحزاب والتنظيمات والأفراد وأنها لا ترتبط بمجتمعات وشعوب معينة كما حاول العديد من مفكري الغرب ربطها بدول العالم الثالث والحركات اليسارية بدليل ظهورها كظاهرة سياسية في أوساط اليمين السياسي الغربي.

2- إن الشعبوية اليمينية تعبر عن أزمة تجتاح الديمقراطية التمثيلية والنظام الليبرالي بشكل عام وبجنوح العولمة وتهديدها لمصالح الشعوب وهوياتهم ومصادرة إرادتهم الحرة في اختيار ما يريدون.

3- وبرغم خطورة المد الشعبوي في الغرب وتداعياته إلا أن النخب الديمقراطية ما يزال بإمكانها إعادة بناء نظام عالمي على أسس جديدة قابلة للاستمرار وبناء هذا النظام لا يكون من إرادة النخب وتوازن القوى والسياسيات بل كذلك على ما تريده المجتمعات القومية الحرة.

4- أن التحدي الأساسي أمام الديمقراطيات الليبرالية ليس إكمال مهمة بناء نظام ليبرالي عالمي على الأسس التقليدية بقدر ما سيكون بحث عن طريقة لوقف تآكل هذا النظام. أن أهم ما يمكن ملاحظته مع صعود الظاهرة الشعبوية واليمينية بالخصوص هو عودة حكم الرجل القوي كخيار أمام الشعوب وهذا ما سماها الباحث الاستارلي "غريغ مموش" بديمقراطية القياصرة التي عرفها بانه يعبر عن ميل قطاعات كبيرة من السكان إلى وضع ثقتهم في زعيم كشخص يعتقدون انه سيحسن أحوالهم ويحقق طموحاتهم في الحركات الشعبوية في اوربا.

---

[39] Martin Mejstrik,.The Five Star Movement and its role in (post) crisis Italian politic, Paper presented at the ECPR General Conference in Prague September 7-10, 2016,p12, pdf.

5- أن حركة خمس نجوم الايطالية تعتبر حركة قيادية بإيديولوجية، وان زعيمها غريلو اصبح سياسيًا كرجل استعراض، تبنى شكلاً جديدًا من الديمقراطية التداولية المباشرة التي تتحقق بفضل استخدام الانترنيت، وبرز عوامل نجاح هذه الحركة الشهرة والاحترام الكبير الذي يتمتع به الممثل الكوميدي؛ اوثانيا خطاب التعبئة الذي استخدمته الحركة على شبكة الانترنيت واخيرا القدرة على مواصلة الضغط والاحتجاج ضد الأحزاب التقليدية والحكومة. ناهيك عن اسباب تتعلق بأزمة النظام السياسي الإيطالي، والمناخ المعادي للسياسة، والأزمة الاقتصادية والمالية العالمية.